

220710 - الكلام على حديث : (ضحك ربنا من قنوط عباده، وقرب غيره) سندا ومتنا .

السؤال

ما قول العلماء في الحديث القدسي التالي : (عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره ، ينظر إليكم أزليين قنطين ، فيضلكم ، يعلم أن فرجكم قريب) . رواه أحمد ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

روى ابن ماجة (181) ، وأحمد (16187) ، والطبراني في "الكبير" (469) عن وكيع بن حُدسٍ ، عن عمه أبي رزين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ضحك ربنا من قنوط عباده ، وقرب غيره) قال : قلت : يا رسول الله ، أو يضحك الربُّ ، قال : (نعم) ، قلت : لئن نعدم من رب يضحك خيرا .

وهذا إسناد ضعيف ، وكيع بن حدس - ويقال ابن عدس - مجهول ، قال الذهبي في "الميزان" (4/335):
" لا يعرف ، تفرد عنه يعلى بن عطاء " .

ورواه ابن خزيمة في "التوحيد" (2/462) ، والحاكم (8683) ، وعبد الله بن أحمد في "زوائد المسند" (16206) من طريق عبد الرحمن بن عياش الأنصاري ثم السمعاني ، عن دلهم بن الأسود بن عبد الله ، عن أبيه ، عن عمه لقيط بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في حديث طويل ، وفيه : (ضنَّ ربُّك بمفاتيح خمسٍ من الغيب لا يعلمهنَّ إلا اللهُ) ، وأشار بيده فقالت : ما هنَّ يا رسول الله؟ ، قال : (علمُ المنية، قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه ، وعلم يوم الغيث ، يُشرف عليكم أزليين مُشفقين ، فيظلل يضحك ، قد علم أن غوثكم قريب) قال لقيط : فقالت : يا رسول الله ، لئن نعدم من رب يضحك خيرا يا رسول الله " .

وهذا إسناد ضعيف ، عبد الرحمن بن عياش ودلهم بن الأسود وأبوه مجهولون لا يعرفون .

قال الشيخ الألباني رحمه الله ، متعبقا على الهيتمي في توثيق رجاله :

" .. فإن عبد الرحمن السمعي ودلهم بن الأسود وأبيه ثلاثتهم لا يعرفون إلا بهذا الإسناد ، وقد صرح الذهبي في "الميزان" في ترجمة دلهم بأنه لا يعرف ، وأشار فيه إلى أن الآخرين كذلك " .

انتهى من "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (6/735) ، وينظر : "مجمع الزوائد" (10/340) .

وقال محققو المسند :

"إسناده ضعيف ، مسلسل بالمجاهيل ، عبد الرحمن بن عياش ، ودلهم بن الأسود ، وأبوه الأسود بن عبد الله بن حاجب : مجهولون " .

وقال ابن كثير رحمه الله :

" هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ جِدًّا ، وَأَلْفَاظُهُ فِي بَعْضِهَا نَكَارَةٌ " .
انتهى من "البداية والنهاية" (339 /7) .

ورواه عبد الرزاق في "مصنفه" (4892) عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنْ اللَّهُ لَيَضْحَكُ مِنْكُمْ أَزْلِينَ بِقُرْبِ الْعَيْثِ مِنْكُمْ) ، قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَاهِلَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْ إِنْ رَبَّنَا لَيَضْحَكُ ؟ قَالَ : (نَعَمْ) قَالَ : فَوَاللَّهِ ، لَا عَدِمْنَا الْخَيْرَ مِنْ رَبِّ يَضْحَكُ " .

وهذا إسناد رجاله ثقات ، إلا أنه معضل ، فإسماعيل بن أمية من أتباع التابعين .

ورواه ابن خزيمة في "التوحيد" (574 /2) من طريق سلم بن سالم البلخي ، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ مُصْعَبٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيَضْحَكُ مِنْ إِيَّاسَةِ الْعِبَادِ وَقُنُوطِهِمْ ، وَقُرْبِهِ مِنْهُمْ) قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، أَوْ يَضْحَكُ رَبُّنَا؟ قَالَ : (أَيُّ) ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّهُ لَيَضْحَكُ) ، قَالَ : فَقُلْتُ إِذَا لَا يَعْدِمُنَا مِنْهُ خَيْرًا إِذَا ضَحِكَ " .

وهذا إسناد واه ، خارجة بن مصعب متروك ، تركه أحمد ، وابن معين ، والنسائي ، وابن سعد ، وغيرهم ، انظر "التهذيب" (3/77) .

وسلم بن سالم ضعيف ، ضعفه أحمد ، وابن معين ، وأبو زرعة ، والنسائي .

انظر "الميزان" (2/185) .

وقد ذهب إلى تقوية الحديث : شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، فحسَّنه في "مجموع الفتاوى" (3/139) ، وحسنه - أيضا -

بطرقه : الشيخ الألباني رحمه الله في "السلسلة الصحيحة" (2810) ، وانتصر لذلك ابن القيم بقوة ، قال رحمه الله :

" هَذَا حَدِيثٌ كَبِيرٌ جَلِيلٌ ، تُنَادِي جَلَالَتَهُ وَقَخَامَتَهُ وَعَظَمَتَهُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ مِشْكَاةِ النَّبُوَّةِ ، لَا يُعْرَفُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَغِيرَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَدَنِيِّ ، وَرَوَاهُ أَيْمَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي كُتُبِهِمْ ، وَتَلَفَّوْهُ بِالْقَبُولِ ، وَقَابَلُوهُ بِالتَّسْلِيمِ وَالْإِنْقِيَادِ ، وَلَمْ يَطْعَنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِيهِ ، وَلَا فِي أَحَدٍ مِنْ رُوَاتِهِ .

وَقَالَ ابْنُ مَنْدَه : رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الصَّنَعَانِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُمَا ، وَقَدْ رَوَاهُ بِالْعِرَاقِ بِمَجْمَعِ الْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الدِّينِ : جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَيْمَةِ مِنْهُمْ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ ، وَأَبُو حَاتِمٍ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ أَحَدٌ وَلَمْ يُتَكَلَّمْ فِي إِسْنَادِهِ ، بَلْ رَوَوْهُ عَلَى سَبِيلِ الْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ ، وَلَا يُنْكِرُ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَّا جَاحِدٌ أَوْ جَاهِلٌ أَوْ مُخَالَفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ " .

انتهى من "زاد المعاد" (3/ 591) .

ثانيا :

قوله (أزلين) الأزل - بسكون الزاي - الشدة . والأزل على وزن كَتَفِ هُوَ الَّذِي قَدَّ أَصَابَهُ الأزل ، واشتدَّ بِهِ حَتَّى كَادَ يَفْنَطُ .
"زاد المعاد" (3/ 593) .

وقوله : (وقرب غيره) أي قرب تغييره الحال .

وقال ابن منظور رحمه الله :

" الأزل: الضيقُ والشدةُ ، والأزل: الحبسُ . وأزله يأزله أزلاً: حبسهُ ، والأزل: شدةُ الزمانِ ، يُقال: هُم في أزلٍ مِنَ العيشِ ، وأزلٍ مِنَ السَّنةِ ، وأزلتِ السَّنةُ: اشتدَّتْ .. وأصبحَ القومُ أزلينَ ، أي في شدةٍ " انتهى من " لسان العرب " (11/13) .

قال ابن رجب رحمه الله :

" والمعنى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَعْجَبُ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ عِنْدَ احْتِبَاسِ الْفَطْرِ عَنْهُمْ وَقُنُوطِهِمْ وَيَأْسِهِمْ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقَدْ اقْتَرَبَ وَقْتُ فَرَجِهِ وَرَحْمَتِهِ لِعِبَادِهِ ، بِإِنْزَالِ الْعَيْثِ عَلَيْهِمْ ، وَتَغْيِيرِهِ لِحَالِهِمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ، وَقَالَ تَعَالَى: فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ - وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ [الروم: 48 - 49] .. " .

انتهى من "جامع العلوم والحكم" (1/491) .

وقال السندي رحمه الله :

" الْمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى يَضْحَكُ مِنْ أَنَّ الْعَبْدَ يَصِيرُ مَأْيُوسًا مِنَ الْخَيْرِ بِأَدْنَى شَرٍّ وَقَعَ عَلَيْهِ ، مَعَ قُرْبِ تَغْيِيرِهِ تَعَالَى الْحَالَ مِنْ شَرٍّ إِلَى خَيْرٍ وَمِنْ مَرَضٍ إِلَى عَافِيَةٍ وَمِنْ بَلَاءٍ وَمِحْنَةٍ إِلَى سُرُورٍ وَفَرَحَةٍ " .

انتهى من "حاشية السندي على سنن ابن ماجه" (1/ 78) .

ثالثا :

في الحديث إثبات صفة الضحك لله تعالى ، وكذا صفة العجب ، وهما صفتان ثابتتان لله تعالى على الوجه الذي يليق بذاوته وجلاله .

قال الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله :

" هَذَا الْحَدِيثُ يُثَبِّتُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صِفَةَ الْعَجَبِ ، وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شَابٍ لَيْسَ لَهُ صَبَوَةٌ) ، وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ؛ بِضَمِّ التَّاءِ عَلَى أَنَّهَا ضَمِيرٌ لِلرَّبِّ جَلَّ شَأْنُهُ .

وَلَيْسَ عَجْبُهُ سُبْحَانَهُ نَاشِئًا عَنْ خَفَاءٍ فِي الْأَسْبَابِ ، أَوْ جَهْلٍ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ ؛ كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي عَجَبِ الْمَخْلُوقِينَ ؛ بَلْ هُوَ مَعْنَى يَحْدُثُ لَهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مُقْتَضَى مَشِيئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ ، وَعِنْدَ وُجُودِ مُقْتَضِيهِ ، وَهُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُتَعَجَّبَ مِنْهُ .

وَهَذَا الْعَجَبُ الَّذِي وَصَفَ بِهِ الرَّسُولُ رَبَّهُ هُنَا مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ ، وَهُوَ مِنْ كَمَالِهِ تَعَالَى ، فَإِذَا تَأَخَّرَ الْعَيْثُ عَنِ الْعِبَادِ مَعَ فَقْرِهِمْ وَشِدَّةِ حَاجَتِهِمْ ، وَاسْتَوَلَى عَلَيْهِمُ الْيَأْسُ وَالْقُنُوطُ ، وَصَارَ نَظَرُهُمْ قَاصِرًا عَلَى الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ ، وَحَسَبُوا أَنْ لَا يَكُونُ وَرَاءَهَا

فَرَجٌ مِنَ الْقَرِيبِ الْمُجِيبِ ؛ فَيَعْجَبُ اللَّهُ مِنْهُمْ.

وَهَذَا مَحَلٌّ عَجِيبٌ حَقًّا؛ إِذْ كَيْفَ يَقْنَطُونَ وَرَحْمَتُهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، وَالْأَسْبَابُ لِحُصُولِهَا قَدْ تَوَفَّرَتْ؟! فَإِنَّ حَاجَةَ الْعِبَادِ وَضُرُورَتَهُمْ مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَتِهِ ، وَكَذَا الدُّعَاءُ بِحُصُولِ الْغَيْثِ وَالرَّجَاءِ فِي اللَّهِ مِنْ أَسْبَابِهَا ، وَقَدْ جَرَتْ عَادَتُهُ سُبْحَانَهُ فِي خَلْقِهِ أَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ الْيُسْرَ مَعَ الْعُسْرِ، وَأَنَّ الشَّدَّةَ لَا تَدُومُ ، فَإِذَا انْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ قُوَّةُ التَّجَاؤِ وَطَمَعٌ فِي فَضْلِ اللَّهِ ، وَتَضَرَّعٌ إِلَيْهِ وَدُعَاءٌ ؛ فَتَحِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى الْبَالِ .. " .

انتهى من " شرح العقيدة الواسطية " (169-171).

وانظر إجابة السؤال رقم : (127605) ، والسؤال رقم : (139913) .

والله أعلم .